274424 ـ العلاقة بين يأجوج ومأجوج وبين بني إسرائيل

السؤال

هنالك من يروج أن القرية في قوله تعالى: (وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ) الأنبياء/95 ، إسرائيل لأنها القرية الوحيدة التي حرم على أهلها الرجوع ، ولكن يستدل بالآية التي تليها أن أهل هذه القرية سيعودون حين يفتح سد باجوج وماجوج ، فيروج صاحب التأويل هذا أنه بما أن إسرائيل عادت فمن المحتم أن يأجوج ومأجوج قد خرجوا ، وهو ما يخالف ظاهر الأحاديث الصحيحة ، وتفاسير الآية ، فما رأيكم بهذا التأويل؟

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

أولًا:

أما قوله تعالى: (وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ) الأنبياء/95 ، فلا يدل على ما ذهب إليه هذا المستدل من كون يأجوج ومأجوج هم بنو إسرائيل ، وذلك لأن معناها: أن من طبع الله على قلبه ، وختم على سمعه ، وجعل على بصره غشاوة ، وكفر بالله ورسوله ، وصد عن آياته، فإن الله قد كتب عليه ألا يتوب، وكتب عليه أن لا يرجع إلى الإيمان .

قال مكي: " أي: وحرام على قرية أهلكهم الله بالطبع على قلوبهم ، والتمادي على الكفر، أن يرجعوا إلى الإيمان والتوبة. هذا معنى قول عكرمة وهو اختيار الطبري " انتهى من "الهداية" (7/ 7813)، وانظر: "تفسير الطبري"(16/ 394).

وقيل معناها: يمتنع على القرى المهلكة المعذبة، الرجوع إلى الدنيا، ليستدركوا ما فرطوا فيه ، فلا سبيل إلى الرجوع لمن أهلك وعذب، فليحذر المخاطبون، أن يستمروا على ما يوجب الإهلاك فيقع بهم، فلا يمكن رفعه، وليقلعوا وقت الإمكان والإدراك.

انظر: "تفسير ابن كثير"(5/ 372)، و"تفسير السعدي"(531).

قال ابن جزي: " واختلف في معنى الآية، فقيل حرام بمعنى ممتنع على قرية أراد الله إهلاكها أن يرجعوا إلى الله بالتوبة، أو ممتنع على قرية أهلكها الله ، أن يرجعوا إلى الدنيا، ...

وقيل: المعنى ممتنع على قرية أهلكها الله أنهم لا يرجعون إليه في الآخرة .." .

انتهى من "التسهيل"(2/ 29).

إذًا: فليس في هذه الآية الكريمة دليل على ما ذهب إليه هذا المستدل، ولا يوجد دليل يدل على الربط بين ظهور يأجوج ومأجوج، وبين رجوع بني إسرائيل .

بل إن الأدلة تدل على خلاف ذلك، فإن الأدلة تدل على أن يأجوج ومأجوج يخرجون في آخر الزمان وقت نزول المسيح عيسى عليه السلام ، وبنو إسرائيل ما زالوا معروفين منذ أزمان بعيدة ، وتاريخهم ظاهر مشهور .

ثانيًا:

لا شك أن يأجوج ومأجوج أمتان عظيمتان من بني آدم ، والناظر في قصة ذي القرنين مع هذه الأمة ، في سورة الكهف ، يعلم قطعا أنهما موجودتان ، وأن السد الذي بني ليس سدّا معنويا ، أو خياليا ، بل هو سد حسي ، مبني من الحديد والنحاس المذاب .

والأصل أن تؤخذ هذه النصوص القرآنية على ظواهرها ، دون أن يتعرض لها بأيّ نوع من أنواع التحريف ، أو التأويل البعيد الذي يخرجها عن معناها المقصود .

وقد فصّل لنا القرآن طريقة البناء ، بل ومادته أيضا ؛ فلا يصح بعد ذلك إنه يقال أنه سد معنوي، أو وهمي ؛ قال الله تعالى في سورة الكهف في قصة الملك المسلم ، والقائد العظيم ذي القرنين رحمه الله : (حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلا * قَالُوا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا * قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا * ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا * فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا * قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا) الكهف/93-97

ومما يدل على أن هذه الأمة موجودة الآن ، بل وتحاول يوميًا الخروج على الناس :

ما جاء عند ابن ماجة بسند صحيح ، عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ يَحْفِرُونَ كُلَّ يَوْمٍ ، حَتَّى إِذَا كَادُوا يَرَوْنَ شُعَاعَ الشَّمْسِ ، قَالَ الَّذِي عَلَيْهِمْ : ارْجِعُوا فَسَنَحْفِرُهُ غَدًا . فَيُعِيدُهُ اللَّهُ أَشَدَّ مَا كَانَ .

حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ مُدَّتُهُمْ ، وَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَهُمْ عَلَى النَّاسِ : حَفَرُوا ، حَتَّى إِذَا كَادُوا يَرَوْنَ شُعَاعَ الشَّمْسِ ، قَالَ الَّذِي عَلَيْهِمْ ارْجِعُوا ، فَسَتَحْفِرُونَهُ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَاسْتَثْنَوْا ، فَيَعُودُونَ إِلَيْهِ وَهُوَ كَهَيْئَتِهِ حِينَ تَرَكُوهُ ، فَيَحْفِرُونَهُ ، وَيَخْرُجُونَ عَلَى النَّاسِ ، فَيُنْشِفُونَ الْمَاءَ ، وَيَتَحَصَّنُ النَّاسُ مِنْهُمْ فِي حُصُونِهِمْ ، فَيَرْمُونَ بِسِهَامِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ ، فَتَرْجِعُ عَلَيْهَا الدَّمُ الَّذِي اجْفَظَّ (أي ترجع سهامهم وقد امتلأت دما ، فتنة لهم) ؛ فَيَقُولُونَ قَهَرْنَا أَهْلَ الأَرْضِ ، وَعَلَوْنَا أَهْلَ السَّمَاءِ !!

فَيَبْعَثُ اللَّهُ نَغَفًا (أي دودا) فِي أَقْفَائِهِمْ ، فَيَقْتُلُهُمْ بِهَا .

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ دَوَابَّ الأَرْضِ لَتَسْمَنُ وَتَشْكَرُ شَكَرًا (أي تمتلىء شحما) مِنْ لُحُومِهِمْ . "صحيح ابن ماجه" (3298).

وكذلك حديث أُمِّ حَبِيبَةَ بِنْتِ أَبِي سُفْيَانَ ، عَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَيْهَا فَزِعًا ، يَقُولُ : (لا إِلَهَ إِلاّ اللَّهُ وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدْ اقْتَرَبَ ، فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ ، وَحَلَّقَ بِإِصْبَعِهِ الإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا .

قَالَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ : فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ ؟

قَالَ نَعَمْ ؛ إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ) رواه البخاري (3097).

وانظر للمزيد عن يأجوج ومأجوج، هذه الأجوبة: (3437)، (238769)، (271119)، (213797)، (161083).

والله أعلم .